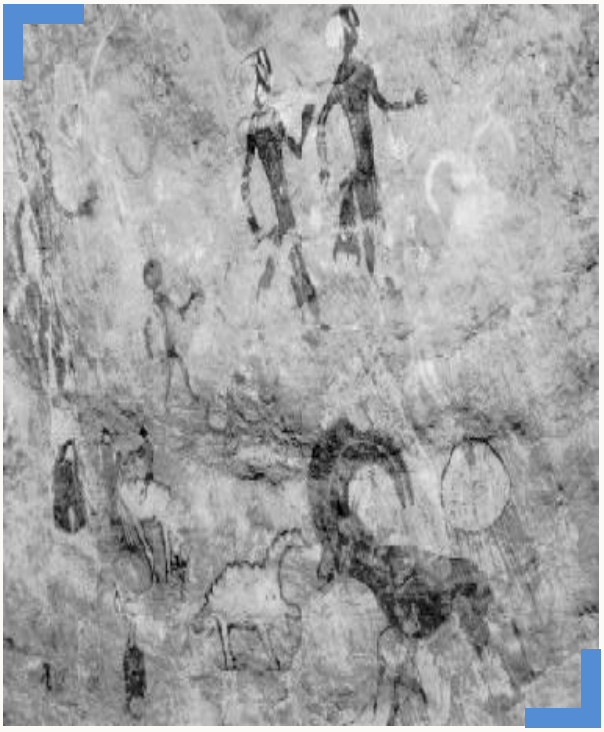

الإنسان المغاربي القديم الصحراوي وإشكالية التدوين من خلال الرسوم الصخرية

مها محمود عيساوي

أستاذ مساعد تاريخ وحضارة المغرب القديم
قسم العلو الإنسانية – كلية الآداب واللغات
جامعة تبسة – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مها محمود عيساوي، الإنسان المغاربي القديم الصحراوي وإشكالية التدوين من خلال الرسوم الصخرية.- دورية كان التاريخية.- العدد السابع عشر؛ سبتمبر ٢٠١٢. ص ٢٣ – ٣٢.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخص

في إطار محاولات إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم، يواجه الباحثون المتخصصون في الجزائر إشكالية هوية الإنسان المغاربي القديم، ومسألة الانتماء إلى الربوع الجغرافية القديمة التي حددتها المصادر الكتابية الكلاسيكية؛ حيث لم تكن تعتبر تلك المصادر الإنسان النيوليتي الصحراوي جزءً من المنظومة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، ومن هنا جاءت تسميته في المصادر القديمة بالإنسان الصحراوي وليس بالإنسان اللوبي أو المغاربي – كما هو في المفهوم السوسيولوجي المعاصر- . إن المتتبع لتاريخ الجزائر القديم في هذه المسألة يعرف أن الرسوم الصخرية كانت مرحلة أولية للكتابة، والإشكالية التي تدور حولها الدراسة هي: هل يمكن اعتبار الرموز الكتابية للتاماهق (الكتابة التيفناغية) امتدادًا للكتابات الأمازيغية الموجودة في كامل ربوع البلاد المغاربية ؟ وإذا كانت الإجابة من خلال المصادر المادية والكتابية بنعم أو يمكن، فهل يمكن اعتبار الإنسان الصحراوي في هذه الحالة ليس سوى جزء لا يتجزأ من المجتمع المغاربي القديم الانقسامي وليس كما تبينه الدراسات الاستعمارية المتخصصة في تاريخ المغرب القديم بكونه عنصرا لا ينتمي للمجتمع المغاربي القديم في مفهومه الشامل؟

مقدمة

يعد الإنسان القديم الصحراوي جزءً من منظومة اجتماعية تعارفت عليها الدراسات التاريخية باصطلاح "المجتمع المغاربي القديم"، هذا الأخير كان مجتمعًا كبيرًا، إلا أن تسميته في المصادر التاريخية الكتابية كانت تتغير في كل فترة من فترات التاريخ القديم. فالمجتمع المغاربي القديم في مصادر الفترة التاريخية المصرية والإغريقية والرومانية كان يعرف بالمجتمع اللوبي، وبالمفهوم السوسيولوجي "المجتمع اللوبي الانقسامي"، ذلك الذي تفرعت منه مجتمعات عديدة منها - على سبيل المثال- المجتمعان النوميدي والموري المحليان اللذان امتدا على كامل الرقعة الجغرافية لشمال أفريقيا.

إن المتتبع لتغيرات الخارطة السياسية للمغرب القديم ليلاحظ أن الحدود كانت تتغير، فتضيق أو تتسع وفقاً لتحركات التجمعات البشرية والتي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المغرب القديم. لذلك حري بنا أن نتساءل: إذا كانت المصادر القديمة تعتبر بلاد المغرب القديم وحدة جغرافية والتركيبة الاجتماعية للسكان ذات أرومة واحدة، فهل يمكن اعتبار الإنسان المغاربي الصحراوي جزءً من المنظومة الاجتماعية المغاربية القديمة؟ وإذا كان من شروط قيام المجتمعات أن تكون لكل مجتمع لغته الخاصة به والمفهومة من قبل أفراده، فهل يمكن اعتبار لغة التماهق لغة اجتمع عليها سكان بلاد المغرب القديم ثم انقسمت إلى لهجات بحسب طبيعة كل مجموعة بشرية ؟ وكذلك الحال بالنسبة للكتابة التيفيناغية ؟

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أولاً: الإنسان الصحراوي القديم وإشكالية الانتماء إلى المجتمع المغاربي القديم خلال فترة ما قبل التاريخ:

١- أصل الإنسان المغاربي الصحراوي القديم قبل التدوين

١/١- مفهوم الإنسان المغاربي الصحراوي القديم:

إن البحث عن مفهوم شامل للإنسان المغاربي الصحراوي القديم يعتمد على أبرز المستمسكات المادية الدالة على أصالته في بلاد المغرب القديم، ويبدأ ذلك من فترة عصور ما قبل التاريخ التي تبين لنا أنه إنسان محلي وغير وافد. إنَّ دراسة التجمعات السكانية في بلاد المغرب القديم وخاصةً خلال فترة العصور الحجرية ومرحلة العصر الحجري الحديث (النيوليتي)، لا تقل أهمية عن دراسة مجتمعات الحضارات الإنسانية القديمة، لما لها من خصائص مميَّزة، فهي ليست حضارات الحجارة المشذبة والمصقولة فقط، وإنما هي حضارات صامتة تتناول تاريخ تطور البشرية البدائية في مجال تطور قدراتها الإنتاجية.[١] بذلك، لا يتأتَّ فهم المجتمعات التاريخية القديمة إلا بالتعرض لتجمعات ما قبل التاريخ في المنطقة المراد دراستها لأنَّ إعادة رسم صورة لبعض مظاهر نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية وأشكال التنظيم الاجتماعي تعتبر إشكالية صعبة ومعقدة خاصة عند دراسة مرحلة ما قبل التاريخ.[٢]

تفيدنا المصادر التاريخية، بأن التجمعات البشرية في بلاد المغرب القديم كانت هائلة الأعداد ومنظمة فيما بينها ولها أساليبها في التواصل.[٣] ولكون المعطيات المادية هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة مختلف المظاهر الحياتية لتلك التَّجمعات في مرحلة ما قبل التاريخ، فإنَّ كل ما تم العثور عليه من مخلفات أثرية هو إنتاج يعبِّر عن نشاط اجتماعي للإنسان المغاربي القديم في مرحلة ما قبل التدوين.[٤] وقد تميز المجتمع المغاربي الصحراوي في فترة ما قبل التاريخ بثلاث خصائص أساسية هي:

١- عدم معرفته الرموز الكتابية، فكل معارفه تناقلها مشافهة إذ لم يرق فكره لأن يكتب خلال هذه المرحلة أبدًا، لكنه بدأ يدون من خلال الرسوم التصويرية.

٢- صناعته لأدواته الخاصة كانت من الحجارة، حيث أنَّ درجة إتقانها هي التي تحدد نوع الثقافة الحجرية عن غيرها من مجتمعات تلك الفترة.[٥]

٣- صانع تلك الأدوات كان الإنسان العاقل.[٦]

٢/١- مجال دراسة تجمعات الإنسان الصحراوي في فترة ما قبل التاريخ:

لا تختلف كثيرًا عن تلك التي عاشها نظراؤه في أوروبا حيث ترتكز على نقطتين أساسيتين هما:

- تحديد الإطار الزماني والمكاني ثم المناخي، ومدى دقة صناعة المخلفات المادية التي ظهرت في هذا الإطار، والتي تشكل بدورها أيضًا محور الثقافة الحجرية.

- تحديد نوع السلالة البشرية التي تركت تلك المخلفات.[٧]

بما أن فترة حياة التجمعات ما قبل التاريخية المغاربية قد امتدت لأكثر من مليوني سنة، فمن الواضح أنها قد مرت خلال تلك الفترة الطويلة جدًا، بعدة مراحل تطورية ليس على مستوى الإنسان الحفري فقط، وإنما على مخلفاته الصناعية بالدرجة الأولى. ويعني ذلك أنه كلما تطورت السلالة البشرية المسيطرة في مكان ما، من حيث صفاتها التشريحية وخاصةً حجم المخ الذي يعتبر الدليل القاطع على التطور في التفكير، فإن ذلك يصاحبه تطور في الثقافة المادية والروحية لمبتكرات تجمعات هذا الإنسان، ولا يكون ذلك إلا في إطار ما يلي:

- رصد مراحل تطور العلاقات الاجتماعية وأشكال التنظيم الاجتماعي.

- رصد تطور أسلوب الإنتاج المشترك للإنسان الحفري المغاربي.[٨]

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الملامح الكبرى لتجمعات ما قبل التاريخ المغاربية ؟ استنادًا إلى معطيات مناخية وجيولوجية، فقد تمَّ تقسيم فترات قبل التاريخ في المغرب القديم إلى حقبتين متميزتين ومختلفتي الطول هما: العصر الحجري القديم (الباليوليتي - ***Paléolithique***) والعصر الحجري الحديث (النيوليتي - ***Néolithique***). لقد كان المغرب القديم – آنذاك – يمثل وحدة جغرافية متكاملة ظهرت فيها حضارات قبل التاريخ مرتبطة ببعضها وتحمل خصائص مشتركة مع مثيلاتها في أوروبا، فالمناخ كان رطبًا ثم جافًا، والإنتاج الحضاري كانت مادته الأساسية الحجارة. أما السلالة البشرية، فكانت قادرة على التفكير الصحيح في تأمين حاجياتها الضرورية، ولذلك يمكن حصر المقومات الأساسية لحضارة الإنسان الصحراوي المغاربي القديم خلال هذه المرحلة في فترة النيوليتي.[٩]

٢- الخصائص الحضارية العامة للإنسان في الصحراء خلال فترة النيوليتي

١/٢- الإطار المكاني للإنسان الصحراوي في مرحلة النيوليتي:

نظرًا للتأثيرات المناخية على البيئة، فقد اختلفت مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في كل منطقة جغرافية في المغرب القديم الذي قسمه العلماء إلى ثلاث أقسام أساسية هي:

- منطقة النيوليتي المتوسطي

شملت منطقة النيوليتي المتوسطي كامل الشريط الساحلي، وكانت منطقة متأثرة بحضارات أوروبا، وتميزت بقلَّة الأدوات الحجرية وكثرة المحزَّات والمسنَّنات وشُقَف الفخار والحلي العظمية والصدفية.

- منطقة النيوليتي القفصي

توزعت هذه المنطقة على كامل المناطق الداخلية إلى شمال الصحراء، وهي منطقة متأثرة ببعض خصائص الحضارة القفصية، وازدهرت خلال الألف الخامسة ق م.[١٠]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

- منطقة النيوليتي الصحراوي

احتلت منطقة النيوليتي الصحراوي كامل الصحراء، وامتدت في ما بين الألف السابعة إلى الألف الخامسة ق.م، ومن أهم مظاهرها الحضارية فن الرسوم الصخرية الذي ازدهر خلال الألف السادسة ق.م .[١١]

وكانت أهم المواقع الحضارية للعصر الحجري الحديث: الداموس الأحمر بتبسة، وخنقة سيدي محمد الطاهر بالأوراس ثم كلومناطة بتيارت، وعين القطارة والرديّف بتونس، والصخرة الكبيرة، ودار السلطان قرب طنجة، أما في الصحراء فمواقعه كثيرة جدًا وأشهرها موقع أمكني والتاسيلي وفزّان بليبيا.[١٢] وهكذا؛ استفاد الإنسان المغاربي الصحراوي القديم من إرث العصور الحجرية، ولذلك فإنَّ تحديد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمرحلة النيوليتية مسألة صعبة، لأنَّ الأدوات والمظاهر الحضارية متداخلة بين نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية العصر الحجري الحديث. العصور الحجرية، حيث امتد في بلاد المغرب القديم بين الألف السادسة ق.م إلى نهاية الألف الثانية ق.م، وذلك في المنطقة المتوسطية.

لقد تميزت الفترة بخصائص عديدة عن المراحل السابقة، حيث حدثت فيه تغييرات جذرية في الحياة الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم بسبب التطور الاقتصادي الذي أحرزه، مما حذا بالباحثين إلى أن يطلقوا على هذه المرحلة الثورة النيوليتية.[١٣] تعد صناعة الأواني الفخارية لتخزين الحبوب والسوائل، واستئناس الحيوانات ورعيها من مظاهر التطور الذي حدث في الثورة النيوليتية في المغرب القديم، أما صناعة الأدوات الحجرية فقد أصبحت على قدر كبير من الإتقان.[١٤] ويرجع ذلك إلى استقرار المناخ، حيث ساد المناطق الساحلية المناخ المتوسطي، وفي المناطق الداخلية المناخ المعتدل، أما في المناطق الصحراوية المناخ الجاف.

٢/٢- خصائص حياة الإنسان الصحراوي في مرحلة النيوليتي:

ساهمت البيئة الجغرافية مساهمة أساسية في تغيّر الظروف الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم، فعلى سبيل المثال كان يعيش في المنطقة الساحلية خلال الألف السادس ق. م صانعًا لأدواته بتقنياتٍ متطورة، ثم ما لبث أن اكتشف الفخار فصنع منه الأواني الفخارية وزوَّدها بمقابض وفتحات وزخارف هندسية مما يسَّر له مجالات كثيرة في معيشته اليومية.[١٥] لقد قدمت المعطيات الأثرية الحديثة الملامح الكبرى لمجتمعات النيوليتي، فمن خلالها تم التعرف على نمط حياة سكان مغارات الجبال، مما يدل على أن المجموعات البشرية التي تنتمي إلى تلك الفترة قد تعاطت الزراعة والصناعة اللذان يمثلان مقومات المجتمع الحضري.[١٦] أما في الصحراء فقد ظهرت البوادر الأولى للإنسان المغاربي القديم الفنان في مجال الرسوم الصخرية، حيث قدمت صورة عن الحياة اليومية التي عاشها، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على فن الرسوم والنقوش الصخرية الأطلس الصحراوي في البيض والجلفة، أما أكثر المواقع التي انتشرت فيها الرسوم فكان الطاسيلي بالهوقار.[١٧]

كان الإنسان الصحراوي ينتمي في مرحلة العصر الحجري الحديث إلى منظومة الإنسان المغاربي القديم ليس بحكم السلالة العرقية إذ هو من السلالة الزنجية، وإنما بحكم الرقعة الجغرافية ذات المناخ المعتدل، والتي كانت تسهل عملية التواصل الحضاري وإمكانية انتقال الإنسان المتوسطي إلى أعماق الصحراء في منطقة الاقتصاد المفتوح.[١٨] وقد أشار الباحثون الجيولوجيون إلى الصحراء على أنها كانت منطقة عالية الرطوبة، وتتخللها شطوط وسبخات، وبحيرات مغلقة موزعة في بعض المناطق الصحراوية التي تغذيها الوديان المنحدرة من مرتفعات الهوقار والتاسيلي والتبستي، وقد احتلت مكانها العروق والأحواض الرملية اليوم، لتصبح منطقة جافة وقاحلة.[١٩] ولذلك اتجه الإنسان الصحراوي إلى التركيز على الرعي بسبب طبيعة التضاريس، وهو أيضًا نوع من الاستقرار، وعلى الرغم من أنه لم يترك آثار قرى كثيرة مقارنة بالمشرق ومصر، إلا أنَّ الكهوف والمغارات الطبيعية في المرتفعات الجبلية اعتبرت مقرات لتجمعاته السكنية، كما أن تجمعات مخلفاته في دائرة قريبة تعزز من فرضية اعتبار المنطقة المنقب فيها آثار قرية.[٢٠]

٣- الأسرة النيوليتية الصحراوية

١/٣- نشاط أفراد الأسرة

عرفت نظام تعدد الزوجات، وعلى الرغم من أن الدراسات الأثرية لم ترصد مواد مستخرجة من المواقع الأثرية عن أنماط السلوك الإنساني الذي لا يترك أبدا آثارًا عن الممارسات الاجتماعية، إلا أن المجتمع الرعوي أمكن تفسير بعض الجوانب التي لا مستمسكات مادية لها في إطار التنقيبات الأثرية، فالقطيع المستأنس هو رأس مال الأسرة الذي تستثمر فيه وتحميه من الأخطار وتنتقل به، الأمر يجعل للأبناء دورًا جوهريًا في حماية رأس المال وحراسته، فالرعي كان مسؤولية تضامنية يشترك فيها الجميع، ولذلك كان لزامًا على الأسرة أن يكون لديها أيد عاملة كثيرة وهكذا كان مجتمع العصر الحجري الحديث، متفاعلاً اقتصاديًا وبيئيًا.[٢١]

لقد شملت القطعان التي رعاها الإنسان في بلاد المغرب القديم، الضأن الأفريقي والماعز القديم، والثور الإيبيري بغرض استهلاكها، بالإضافة إلى قطعان الأرخص. كما صنع الإنسان الصحراوي أدواته الفخارية بطريقة مختلفة، عن طريق تقنية الحز الغائر، وليس بواسطة بتقنية الخطوط الهندسية، والسلال الكبيرة والقدور الفخارية والمزهريات، وأدوات تعين في الصيد النهري كالخطاف والصنارة، هذا فضلاً عن الأدوات الحجرية القزمية المتقنة.[٢٢] فالمظاهر الحضارية كلما اتجهنا إلى الجنوب حيث الجبال الصحراوية الوسطى والسهول المحاذية أبرزت أنماطًا مختلفة من حضارة العصر الحجري الحديث الذي شهد تبلور ملامح مجتمعه الفكرية والدينية.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لقد رصد الباحثون الأثريون مظاهر عديدة عن الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع المغاربي القديم الصحراوي، حيث شهدت هذه المرحلة من العصر الحجري الحديث أهم مظهر للإنتاج الفكري للإنسان المغاربي القديم ممثلاً في الرسوم الصخرية ذات الأسلوب الطبيعي في التنفيذ والمضمون المتكون من صور كبيرة الحجم للإنسان القديم والحيوانات القديمة التي عكست بعض الجوانب الدينية والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها الإنسان خلال هذه المرحلة.[٢٣]

٢/٣- الرسوم الصخرية ومدلولاتها التعبيرية في الجانب الاجتماعي:

تعد الرسوم الصخرية بمثابة كتابة تصويرية سابقة للفترة السابقة للتاريخ، وقد تطوَّرت تطورًا هامًا خاصةً في الهوقار وفزان، إذ تمثل ذروة التعبير الفكري للإنسان الذي نفذها بتقنيَّة التنقيط والصقل على الجدران الصخرية، حيث توصل الإنسان في مرحلة النيوليتي بعد إشباعه حاجاته المادية إلى التفكير في الجوانب المعنوية، حيث اعتبرت الرسوم الصخرية مرآة عاكسة للطقوس التعبدية كعبادة الثور والحيرم التي جسدت في رسومات كثيرة، وكذلك الأمر بالنسبة للرسومات التي تمثل أقنعة المسوخ الطاردة للأرواح.[٢٤] حيث أشارت الرسوم الصخرية إلى جوانب عن الحياة الدينية كالطقوس التعبدية التي كان يمارسها الإنسان واللباس الذي يُرتدى أثناء الطقوس.

لقد تميز المعتقد النيوليتي عن المعتقد الباليوليتي باستيعابه لأفكار جديدة تدور حول خصوبة الأرض الزراعية وتربية القطعان فكانت أساسا للبنية النفسية للإنسان المغاربي الصحراوي.[٢٥] ومن خلال مواضيع الرسوم تمكَّن الباحثون الأنثروبولوجيون من تحديد بعض الصفات الجسمانية التي كان عليها الإنسان النيوليتي الصحراوي، فجداريات وادي أمزار أبرزت الرجل قوي البنية ذو بشرة سمراء أو زنجية، أما المرأة فتتميز بشعرها المصفوف بدقة.[٢٦] أما عن مواضيع الرسوم الصخرية ذات العلاقة بالمجتمع الصحراوي، فقد عنيت الرسوم الصخرية بتصوير الحيوانات المهمة في النقل والغذاء كالحصان والماعز. وكذلك أبرزت الرسوم الصخرية بوضوح شكل المرأة الحامل، وبعض الأعضاء من الجسم كالأيدي والأرجل، وما يعلَّق بهم من حلي، ولذلك شكلت المرأة محورًا هامًا في الرسوم الصخرية. ويبدو أن الهدف غير المباشر من إبراز الأيدي في الرسوم الصخرية كان التعبير عن قدرة الأيدي على طرد الأرواح الشريرة و دفعها بعيدًا.

وتجدر الإشارة هنا إلى؛ أن التغيرات المناخية أثرت على واقع مجتمعات الرعي التقليدية هذه التي كانت مرتبطة وملتزمة بمجال جغرافي بيئي محدد المعالم يخدم أغراض هجرتها الموسمية.[٢٧] أما في الجانب الفكري، فقد عَرف الإنسان الصحراوي مبدأ الرمزية في التعبير، فبعد أن كان ينقل المشاهد الطبيعية، أصبح يدمج بين تصوير مشهد طبيعي وأعضاء من الجسد يرمز بها إلى طقوس تعبدية.[٢٨] وهكذا؛ نجحت الثورة النيوليتية تقنيًا، واجتماعيًا واقتصاديًا، إذ استمر الإنسان الصحراوي القديم في الصناعة الحجرية وإنما على درجة عالية من التطور، كما عَرف الفخار، وتنوَّع إنتاجه الزراعي، واستأنس الحيوانات، واستقر في القرى.[٢٩]

هكذا؛ يمكن القول أن المجتمع الصحراوي في ما قبل التاريخ كان منتميًا فكريًا وحضاريًا للمجتمع المغاربي القديم في مفهومه الشامل، كما كان متطورًا عن غيره من المجتمعات المونوغرافية المغاربية المتوسطية، فعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، وإن لم يشهد المغرب القديم في مرحلة النيوليتي الممارسة الدورية للزراعة على غرار مصر والشرق الأدنى، إلا أنه عرف الرعي مما دعم لديه عملية الاستقرار البشري، وعَرف فن الرسم الصخري، وهذا ما أدى إلى تطور اجتماعي جذري وهو ظهور المجتمع الصحراوي المنتج في الفترة التاريخية.[٣٠]

لكن؛ هل اعتبرت المصادر القديمة الكتابية المجتمع الصحراوي القديم أيضًا جزءً من المجتمع المغاربي القديم خلال الفترة التاريخية؟ لعل البحث في منظور جغرافية المكان عند المؤرخين والرحالة القدامى ما يثبت ذلك؟

ثانيًا: الإنسان الصحراوي القديم وإشكالية الانتماء في الفترة التاريخية حسب المصادر

كانت بلاد المغرب القديم تعرف في المصادر الكتابية ببلاد لوبه، وفي المصادر اللاتينية بأفريقيا، ونعتبر الأطر المكانية محددًا أساسيًا من محدّدات الهوية والانتماء.

١- جغرافية المغرب القديم حسب هيرودوتس (Herodotus)

تعد (لوبه) القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وآسيا، تمتد من غرب مصر إلى رأس سولويس (Soloeis).[٣١] وتتخللها المسطحات المائية القديمة المعروفة بخليج السرت الكبير، وبحيرة التريتونيس وأعمدة هرقل.[٣٢] أما حدود (لوبه) إذا اتجهنا جنوبًا فهي أوسع حيث تنتشر فيها الحيوانات المفترسة، ثم تشكِّل شريطًا يمثل منطقة صحراوية بمحاذاة أطلس.[٣٣] وبهذا الوصف كانت بلاد المغرب القديم تنقسم إلى ثلاثة أقاليم:

- الإقليم الساحلي : الذي تنتشر فيه معظم القبائل اللوبية .
- الإقليم الداخلي : الذي يعتبر امتداداً لمواطن القبائل اللوبية الساحلية .
- الإقليم الصحراوي : هو الإقليم ذي المناخ القاسي والذي تعتبره القبائل صعب المعيشة .

والجدير بالذكر؛ أنه لا يمكن أن نحدد (لوبه) في منطقة الساحل بل في كامل شمال أفريقيا. وقد اتفق – إلى حد كبير– كبار مؤرخي الإغريق هيكاتوس الميليتي مع هيرودوتس على أن الإطار الجغرافي لانتشار بلاد لوبه هو كامل منطقة المغرب، أما بوليبيوس وديودوروس الصقلي[٣٤] - وعلى الرغم من أنهما كانا قد كتبا عن تاريخ الحروب البونية- لا نجد في مصدريهما الحدود الجغرافية

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الجنوبية لبلاد المغرب القديم. أما من الجغرافيين القدامى فيمكن القول إن استرابون[٣٥] أفضل الذين حددوا الإطار المكاني لبلاد لوبه.

٢- جغرافية المغرب القديم حسب استرابون (Strabon)

قدَّم استرابون وصفًا لجغرافية (لوبه) في كتابه السابع عشر على النحو الآتي:[٣٦] "... الواقع أنّ مساحة لوبه أوسع بكثير مما ورد في المصادر السابقة إذ تمتد بين الإسكندرية شمالاً، وميروى عاصمة أثيوبيا جنوبًا على امتداد ١٠,٠٠٠ ستاد.[٣٧] حيث تقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المُحْرِقَة، وبين الأرض المأهولة... ونستطيع حساب مسافة ٣٠٠٠ ستاد، وبذلك نقدِّر أقصى امتداد جغرافي طوليًا للوبه بحوالي ١٣.٠٠٠ ستاد، ومع ذلك فإننا لا نستطيع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة...".[٣٨]

وقد واصل استرابون تحديد منطقة لوبة ولكن وفق طبيعة المناخ الذي عاينه - آنذاك - فذكر ما يلي: "... إنَّ لوبه تأتي بعد آسيا في مساحتها، وتأخذ شكل مثلث قائم الزاوية، وتنقسم إلى ثلاث مناطق هي:

- المنطقة الأولى: تمتد على طول بحرنا، وهي خصبة، وتتاخم الحدود القرطاجية إلى غاية موريتانيا وأعمدة هرقل.
- المنطقة الثانية: تمتد على طول المحيط، وهي أقل خصوبة من الأولى.
- المنطقة الثالثة: هي منطقة مشتركة بين المنطقة الخصبة والمنطقة الصحراوية، وهي لا تنبت سوى نبات السلفيوم".[٣٩]

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى؛ أن جغرافية استرابون تعد المصدر الوحيد الذي تناول جغرافية المغرب القديم على هذا النحو من التفصيل.

٣ - جغرافية المغرب القديم حسب بلينوس الكبير[٤٠] (Plinus Leptis)

وصف المؤرخ بلينوس الأكبر بلاد (لوبه) قائلاً: " هي المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي،[٤١] وبها خليج السرت والتريتونيس وأعمدة هرقل".[٤٢] ولم يتناول بلينوس الأكبر من الموقع الجغرافي لبلاد لوبه أكثر مما ذكر، لكنه كان دقيقًا وواضح الوصف، ولم يعتبر الصحراء من بلاد المغرب القديم.

٤- جغرافية المغرب القديم حسب سالوستيوس[٤٣] (Sallustius)

ذكر سالوستيوس بأنَّ تحديد جغرافية أفريقيا سيكون مختصرًا جدًا، لندرة المعلومات التي وصلته، ففي الفقرة السابعة عشر أورد ما يلي: "تتميز أفريقيا بالحرارة الشديدة وبصحارى ... وتكوّن أفريقيا الجزء الثالث من العالم، إلا أن بعض الكتَّاب لا يعدّون سوى قسمين هم آسيا وأوروبا ويلحقون أفريقيا بأوروبا ... ويحدها من الغرب المضيق الذي يصل بحرنا بالمحيط، وفي قسمها الشرقي تمتد هضبة كاتاباتموس ...".[٤٤] لقد قدم سالوستيوس وصفًا عن المناخ أكثر من الحدود الجغرافية، وذلك نظرًا لما كانت توليه روما من أهمية لثروات المغرب القديم الاقتصادية، إذ يذكر: "... أرضها جيدة لزراعة الحبوب وتربية المواشي والسماء مدرارة".[٤٥]

وهكذا؛ فقد اتفقت معظم المصادر الكتابية اليونانية والرومانية في الحدود العامة للمغرب القديم الذي يشغل شمال قارة أفريقيا، وينقسم إلى ثلاث أحزمة جغرافية كبرى، وتقطنه شعوب وقبائل مختلفة كانت من أهم محددات رسم الحدود، والإنسان الصحراوي القديم ينتمي بوحدة العرق والمكان إلى المجتمع المغاربي الانقسامي المتعدد، الذي تطور خلال فترة ما قبل التاريخ، وأثبت خصوصيته المحلية من خلال مكوناته الثقافية الأصيلة وبخاصة اللغة، ورغم التباين الشديد في كل مقوماته، إلا أنه أثبت أنه وحدة جغرافية حضارية عريقة ضاربة جذورها في الأعماق من غرب النيل إلى سواحل المحيط الأطلسي.

ثالثًا: الرسوم الصخرية وبداية التدوين في بلاد المغرب القديم

١- علاقة الكتابات في شمال أفريقيا بالرسوم التصويرية

من الممكن وأن تكون الرسوم الصخرية هي المرحلةَ الأولى للكتابة النوميدية التي ظهرت خلال القرن الثاني قبل الميلاد في ربوع المملكة النوميدية وكانت تعرف بالكتابة اللوبية أيضًا.[٤٦] ذلك أن معظم الكتابات القديمة كانت في بدايتها رسوما كالهيروغليفية والسومرية والمينوية، كما أنه تم العثور على العديد من الرموز الشبيهة بالرموز النوميدية منقوشة في الرسوم الصخرية في الصحراء وخاصةً في بلاد الجرامنت و الطاسيلي.

١/١- حول أصل الكتابة النوميدية من الرسوم الصخرية:

تعددت آراء المؤرخين وعلماء اللغة حول أصل الكتابة النوميدية ، ذلك أن وصولها إلى المستوى الثاني في عملية التدوين والمتمثل في الأشكال الهندسية والأفكار المصورة، يجعلنا نتساءل عن الصورة القبْلِيَّة التي كانت عليها تلك الرموز والأشكال الهندسية ؟ وهل بالإمكان أن نعتبر أنها قد مرت بمرحلة تصويرية شأنه في ذلك شأن اللغات القديمة التي تدرجت من المرحلة التصويرية إلى الأبجدية ؟ هناك رأيان؛ الأول يدعم الأصل المحلي، والثاني يقول بالأصل الأجنبي.

اعتبرت الرسوم الصخرية – آنذاك - صحيفة يومية من صنع الإنسان المغاربي القديم في مرحلة ما قبل التاريخ دوَّن فيها سيرة حياته اليومية، كما تعتبر كتابة تصويرية متميزة في مواضيعها وتقنية تنفيذها. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن يتمثل في الآتي: هل هناك علاقة بين الرسوم الصخرية والكتابة اللوبية؟ وهل من الممكن أن تكون التغيرات المناخية سببًا في تحول الرسومات إلى كتابة ؟ وما هي الطريقة التي تحوَّلت بها تلك الرسوم إلى رموز كتابية؟ إن هذه التساؤلات تظل دون إجابة في غياب المعطيات الأثرية التي تتناول حلقة التحول، ومن الواضح أن أصحاب هذه الفرضية وفي مقدمتهم المؤرخ الفرنسي "ستيفان جزال" يقولون بالأصل السامي للكتابة اللوبية وبأنها هي الجد الأول للكتابة التيفيناغية (كتابة طوارق الصحراء الكبرى) والتي ازدهرت في ربوعها الرسوم الصخرية.[٤٧]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

مما سبق يمكن الاستئناس بهذه الفرضية، بناءً على المعطيات الآتية:

١- وجود شبه بين الكتابة اللوبية والكتابة التيفيناغية، وخاصةً في أوجه رسم بعض الحروف مثل حرف التاء (+).[٤٨]

٢- تمسُّك مجتمع الصحراء وخاصةً النساء بتوريث اللهجة التارقية إلى الأبناء، وتعليم الصغار الكتابة التيفيناغية.[٤٩]

٣ - العثور على كتابة تيفيناغية في العديد من المناطق التي سبق وأن عثر فيها على نقوش لوبية، احتوت في نقائشها على نصوص كتابية لوبية، وهذا في المغرب الأقصى والجزائر وعلى طول الأطلس الصحراوي.[٥٠]

على كلٍّ، فإن الكتابة التيفيناغية تدل على أنها مطوَّرة من أصل سابق، ولكن هناك حروف حُرِّفَت أو أخذت قيمًا صوتية مغايرة بحسب التأثر والتأثير مع الحضارات المجاورة.[٥١] لقد أكد عالم اللسانيات الألماني ملتزر (*Meltzer*)[٥٢] وكذلك المؤرخ جيمس فيفريي (*James Février*)[٥٣] أن الكتابة اللوبية كانت وليدة فترة القوة والازدهار الذي عاشته المملكة النوميدية، وأنها لم تكن مقتبسة من كتابات أخرى معاصرة لها كالكتابة البونية، وأنَّها نشأت نتيجة لتطوُّر الظروف الداخلية في المجال السياسي والاقتصادي والفكري في بلاد المغرب القديم.[٥٣]

٢/١- حول رموز الكتابات القديمة في بلاد المغرب القديم من أصل صحراوي:

دوَّن المجتمع المحلي المتكون من النوميديين والموريين أفكارهم بواسطة رموز اصطلح المؤرخون على تسميتها بالكتابة اللوبية، أما المجتمع الوافد من قرطاجيين وإغريق فقد دوَّنوا بالبونية واليونانية الأتيكية[٥٤] اللتان كانتا تعتبران من اللغات الكبرى القديمة التي وصلت لغويًا إلى المستوى المعجمي.[٥٥] كما أنها كتابة صوتية وليست مقطعية كما هو الحال في الكثير من الكتابات القديمة،[٥٦] وقد أكد ذلك القس فولجانسيوس (*Fulgensius*)[٥٧] وكان أول من أشار إلى أن الكتابة اللوبية أبجدية وليست رموزًا - فإنها كانت كتابة متكونة من ٢٣ حرفًا، كلها أحرف صامتة ولا تحتوي على حروف متحركة. فحروفها عبارة عن خطوط مستقيمة أفقية تارة وعمودية تارة أخرى، وهناك الدوائر وأنصاف الدوائر والمثلثات، مفردة أو مجموعة مع بعضها، وهذا ما جعل المؤرخين يعتقدون بامتداد الكتابة الصحراوية التيفيناغية المعاصرة منها، بسبب أن رموزها أقرب للأشكال الهندسية منها إلى الخط المكتوب، ولعل ذلك كان السبب في اعتبارها كتابة رمزية أكثر منها كتابة أبجدية عند الكثير من اللغويين الذين يصنفون حروفها على أنها رموز فيقولون "رموز الكتابة" و ليس "حروف الكتابة". لكن؛ إنَّ تكرُّر الرموز وإعطائها مدلولا واحدًا في نصوص النقائش التي عثر عليها في كامل شمال أفريقيا يؤكد على أنها حروف بقيت في طورها الأول ألا وهي الرموز.[٥٨]

رابعًا: الكتابة التيفيناغية نموذج متطور عن الكتابة النوميدية

نظرًا لبعض المعطيات التاريخية والأثرية واللغوية، اعتبر بعض الباحثين أن الكتابة اللوبية ما هي إلا أصل للكتابة التيفيناغية فاصطلحوا على تسميتها بالكتابة التيفيناغية العتيقة. لقد تبيَّن من إحصاء النقوش النوميدية ومناطق توزيعها في كامل المغرب القديم أنها كتابة كانت معروفة لدى جميع السكان، يتداولونها في ما بينهم مع اختلافات فرعية طفيفة في اتجاه بعض الأحرف. وقد ظل استخدامها متواصلاً في بلاد الماصيل والماصيصيل والموريين والجيتوليين وكذلك الجرميين، وأنها بدأت تزحف باتجاه الجنوب إثر تطبيق سياسة الرومنة في الفترات اللاحقة إلى غاية العصر الوسيط، لذلك اصطلح على تسمية النوع المتطور من الكتابة النوميدية في القرون الميلادية بالكتابة اللوبية – البربرية.[٥٩]

اعتبر الباحث (ريبو – ***Reboud***) أول مَن أشار إلى ضرورة التفريق لدى الباحثين بين الكتابة اللوبية والكتابة اللوبية – الصحراوية والكتابة التيفيناغية. الأولى: هي الكتابة الأم لكل الكتابات المحلية في المغرب القديم. الثانية: هي تطور للكتابة اللوبية في مناطق شمال الصحراء. الثالثة: هي نوع من أنواع الكتابة اللوبية، وهي جزء لا يتجزأ منها، وكذا الحال بالنسبة لبقية الكتابات اللوبية – البربرية الحديثة التي تنتشر في مختلف ربوع شمال أفريقيا في وقتنا الراهن.[٦٠] ومما يدعم تلك الفرضية هو أنَّ الكتابة التيفيناغيَّة لا تزال مستخدمة عند طوارق الصحراء الكبرى، وأن هناك شبهًا كبيرًا من حيث رسم بعض حروفها وحروف الكتابة اللوبية.

كما أن عدد الحروف في كلا من الكتابة اللوبية الشرقية والكتابة التيفيناغية هو أربعة وعشرون حرفًا. وإذا كانت التيفيناغية قد استوفت بعض حقها من الدرس اللغوي، فإنه لا يمكن الاعتماد عليها في فك رموز الكتابة اللوبية، لأسباب عديدة لعل أهمها على الإطلاق وجود اختلافات في نطق بعض الحروف

اختلافًا جذريًا مثلاً رمز الحرف (ب،) في اللوبية الذي ينطق (س) في الرموز التيفيناغية رغم أن شكلهما متشابه في كلتا الكتابتين. مما سبق، نجد أن النوميديين كانوا قد توصلوا إلى مرحلة مزدهرة من التطور والتفوق الحضاري خلال حكم أسرة الملك ماسينيسا، مما حمَّسهم إلى الاهتمام بالشؤون الحضارية، ولو لم يسد الاحتلال الروماني لكانت المملكة النوميدية قد واصلت ازدهارها وتوفقها في مختلف مجالات الحياة.

خاتمة

يستخلص من كل ما سبق، وبالاعتماد على المصادر المتنوعة المادية والكتابية، أن الإنسان المغاربي الصحراوي القديم كان يشكل منظومة اجتماعية عبر مراحل تاريخه الطويل، وأنه كان جزءً من سكان بلاد المغرب القديم المتدين في المنطقة المحصورة بين غرب وادي النيل شرقًا وسواحل المحيط الأطلسي غربًا.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لقد صنع الإنسان الصحراوي القديم حضارات منذ عصور ما قبل التاريخ، فكان يعرف بالإنسان النيوليتي الصحراوي، وساد في وقت كان المغرب القديم يمثل وحدة جغرافية متكاملة أو حضاراته كانت مرتبطة ببعضها بعضًا، ودليل ذلك أنه كانت لها خصائص مشتركة فيما بينها.

وعلى امتداد مساحة بلاد المغرب القديم، فإن الإنتاج الحضاري في فترة عصور ما قبل التاريخ كانت مادته الأساسية الحجارة. أما السلالة البشرية فكانت قادرة على التفكير الصحيح في تأمين حاجياتها الضرورية ، وقد عُرف عن الإنسان المغاربي الصحراوي القديم المنتمي لمرحلة عصور ما قبل التاريخ شبه نسقه الحضاري بالإنسان الأطلسي في منطقة المتوسط، كل أولئك كانوا متشابهين في نمط حياتهم اليومية التي اعتمدت على الدقة في صناعة الأدوات التي تميزت بالتعدد والتنوع في شكل وحجم وهدف الأداة المصنوعة.

كما أشارت الدلالات الأثرية بأنه من ناحية الصفات التشريحية والسلوكية واللغوية، فإن الإنسان الصحراوي وإن كانت من السلالة العرقية الزنجية إلا أنه كان يشبه إلى حد كبير الإنسان الحالي، غير أنه لم يرق فقط إلى عملية تدوين مهاراته وثقافته إلا من خلال الرسم الصخري الذي اعتبرت مواضيعه نواة أولى للرموز الكتابية النوميدية والتيفيناغية في ما بعد. أما في الفترة التاريخية فإن الإنسان المغاربي الصحراوي تكتل في مجموعات قبلية كبرى، ومعرفتنا به كانت من خلال الوثائق التاريخية الكتابية التي تشكِّل لنا مصدرًا أساسيًا يخبرنا عن حدود ومجالات سكان المغرب القديم.

الملاحق

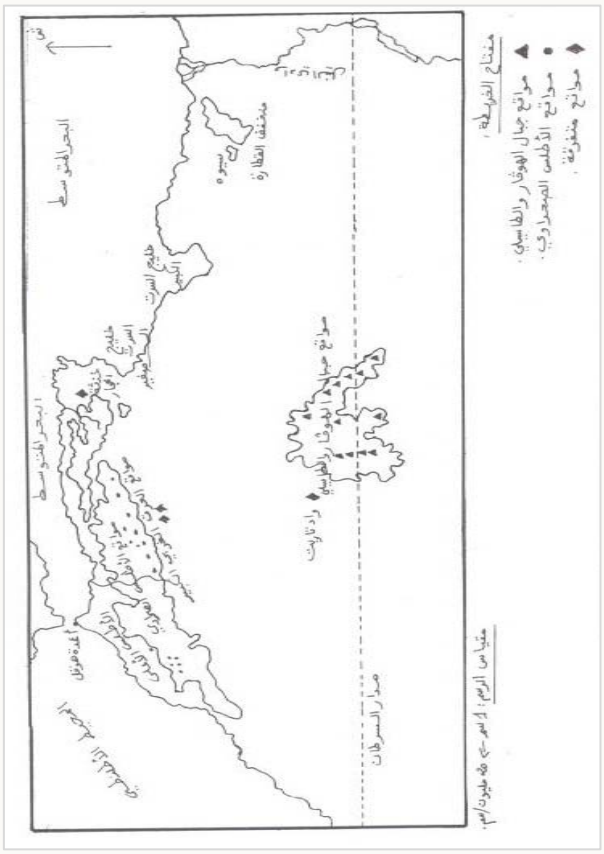

خريطة رقم (١)

أهم مواقع الرسوم الصخرية في المغرب القديم

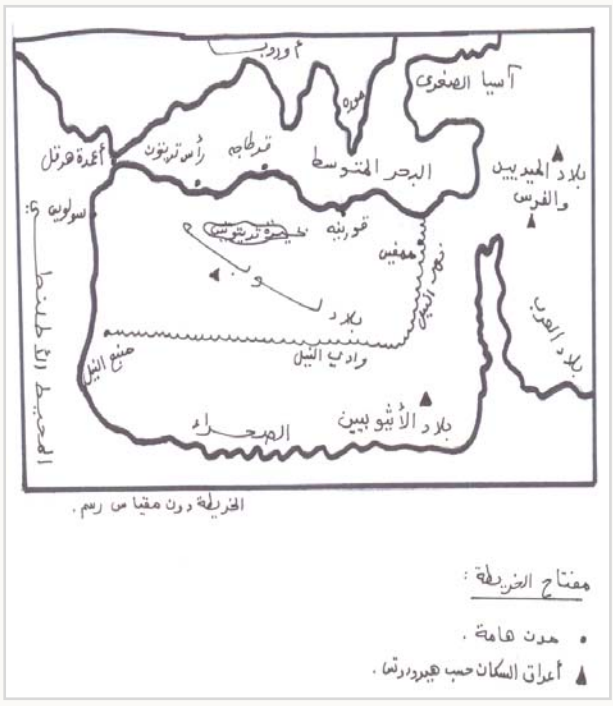

خريطة رقم (٢)

جغرافية بلاد "لوبه" حسب هيرودوتس

دورية إلكترونية، محكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

خريطة رقم (٣)
جغرافية المغرب القديم حسب استرابون

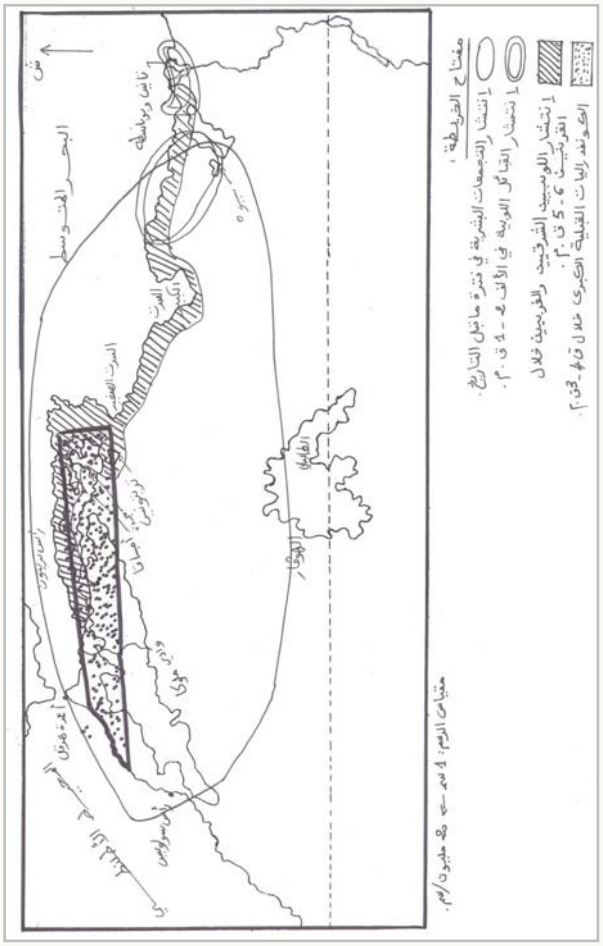

خريطة رقم (٤)
تطور المجتمع اللوبي في المغرب القديم
حسب المصادر الكتابية والمادية

الهوامش:

(1) John Pierre Mohen et Yvette Taborin , ***Les sociétés de la préhistoire***, 1ère éd., Hachette, Paris, 2005, P. 5 .

(2) Denis Vialou, ***La préhistoire (Histoire et Dictionnaire)***, éd . Robert Laffont, Paris, 2004 , P . 29.

(3) André Leroi – Gourhan , ***Dictionnaire de la préhistoire***, P . U . F ., Paris, 1997, P. 1022.

(4) J . P . Mohen et Yvette Taborin, Op . – cit . , P. 6.

(5) Denis Vialou, Op . – cit. , P. 18.

(6) Ibid , P . 18 .

(7) John Pierre Mohen et Autres, ***Histoire de l ' Humanité***, Tome: II, - De 3000 à 700 av. J.C, 2ème éd., EDICEF, Paris, 2001, P. 9.

(٨) لاحظت المدرسة الفرنسية أن الخصائص المورفولوجية للإنسان المغاربي القديم الصحراوي الحفري جديرة بالبحث، فانصب الاهتمام الأكاديمي على دراسة مجتمعات ما قبل التاريخ بهدف معرفة العناصر والأقوام البشرية التي عاشت في المنطقة، ولأن الإنسان يختلف عن الحيوانات بقدرته على التفكير حيث تعد ظاهرة التفكير ميزة الإنسان، فلا بد لها من جهاز عضوي شديد التعقيد في البناء والتنظيم، ومن هنا يبدأ دور علم الباليونثروبولوجيا الذي برعت فيه المدرسة الفرنسية، و يعتبر فرعًا متخصصًا من فروع الأنثروبولوجيا، ويتعلق باكتشاف وتحليل البقايا الحفرية والأثرية لما بين (١٠ – ١٥) مليون سنة الأخيرة، فهو بذلك علم التاريخ التطوري للإنسان ويشمل أيضا الرئيسات، إذ يعنى بالدراسة العلمية المصاحبة للتطور البيولوجي والثقافي فالإنسان الحفري، ويعني كذلك انثروبولوجيا ما قبل التاريخ، وتهتم بعنصرين: الأول يتعلق بمدى تطابق الآثار البشرية للإنسان الحفري لسلالة ما مع مختلف البقايا في مناطق العالم، وكذا البحث في خصائصها المعيشية. والثاني يتعلق بضبط وتهيئة قوانين لتصنيف الإنسان الحفري ضمن بيئته الطبيعية القديمة، أي دراسة كل ما يتعلق بالسلسلة الإنسانية وعلاقاتها الحضارية. ولذلك فالباليونثروبولجيا لا زالت اتجاه علمي حديث جدًا وذات مفهوم قابل للتوسع ليس ليشمل الجانب البيولوجي فقط، وإنما يتعداه إلى بقية الجوانب التاريخية والإثنولوجية معتمدة على المادة الأثرية التي تعكس سلوك الإنسان الحفري وتعبر عن احتياجاته بهدف رسم صورة لأساليب حياته اليومية وعملياته الثقافية عبر ملايين السنين. لمزيد من المعلومات أنظر:

- Olivier Dutour et Autres , ***Objets et Méthodes en Paléoanthropologie*** , 1ère éd . , C . T . H . S . , Paris , 2005 , P . 15 .

(٩) عبد الرزاق قراقب، وعلي مطيمط ، حضارات ما قبل التاريخ في تونس والبلدان المغاربية ، ط . ٢، المطبعة العربية، تونس، ١٩٩٣، ص ٣١.

(10) J. Leclant et P. Huard, ***La culture des chasseurs du Nil et du Sahara***, T: II, éd. C.R.A.P.E., Alger, 1979, P. 481.

(11) J . Leclant et P. Huard, Op. – Cit. , P. 481.

(١٢) محمد الصغير غانم، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم**، ط.١، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٧، ص. (١٣٣ - ١٣٨).

(١٣) غابرييل كامبس، **العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط (التقنيات وأنماط العيش)**، ترجمة: علي التومي والطيب العشاش، ط . ١، دار أليف للنشر، تونس، ٢٠٠٠، ص. (٢٣ - ٢٦).

(14) J . P. Mohen et Yvette Taborin, Op . – Cit., P. 230.

(15) J. P . Mohen et Yvette Taborin. Op – cit. , P. 230.

(١٦) عبد الرزاق قراقب، وعلي مطيمط، المرجع السابق، ص (٧٧ – ٧٨).

(١٧) المرجع نفسه، ص ٤٣.

دورية إلكترونية . مُحكّمة . ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(18) Ginette Aumassip, ***La recherche préhistorique en Algérie***, Al – Insan, N: I, C.R.A.P.E., P. 31.

(١٩) محمد الصغير غانم، "**المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية (المعطيات الجغرافية والمناخية)**"، مجلة الأصالة، عدد: ٧٢، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٧٩، ص ٧٠.

(٢٠) المرجع نفسه، ص ٧١.

(٢١) رشيد الناضوري، **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ السياسي والحضاري في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا**، ج.١، -مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري من العصر الحجري الحديث إلى الألف ٣ ق .م -، دار الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٥٣.

(٢٢) علي التجاني الماحي ، "**استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئية والاقتصادية والثقافية**"، مجلة أدوماتو، ع: ٤، الرياض، جويلية ٢٠٠١، ص ٤٩.

(٢٣) محمد الصغير غانم، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم**، ص. (١٤٩ – ١٨١).

(٢٤) رشيد الناضوري، **المغرب الكبير**، ج. ١ – العصور القديمة-، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٣٩.

– Ginette Aumassip , ***Trésors de l'Atlas***, éd . E.N.L. , Alger , P.P. (15 - 17).

(٢٥) فراس السواح، **دين الإنسان**، ط. ٤، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٢، ص. (١٧٢ – ١٧٥).

(٢٦) محمد الصغير غانم، "**المحتوى التاريخي** ..."، ص ٧٧.

(٢٧) علي التجاني الماحي، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢٨) محمد الصغير غانم، **مواقع وحضارات** .....، ص ١٢٧.

(٢٩) محمد سحنوني، **ما قبل التاريخ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤، ص ١٢٧.

(٣٠) ديفيد فيليبسون، **علم الآثار الأفريقي**، ترجمة: أسامة عبد الرحمن نور، منشورات ELGA، مالطا، ٢٠٠٢، ص ٢٤٦.

(31)Hérodote , Op.-Cit.,P.261.

(٣٢) **خليج السرت الكبير**: يقع على سواحل ليبيا الحالية، أما **بحيرة تريتونيس**: فتعرف حاليًا بشط الجريد التونسي، أما **أعمدة هرقل**: فهي مضيق جبل طارق حاليًا.

(33) Stéphane Gsell, ***Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote)***, Alger, 1915, P.241.

(34) Polybe, ***Histoire***, trad. Par: A.Raussel, éd. Pleide, Paris, 1970, P. 33.; Diodore de Sicile, ***Bibliothèque Historique de Diodore de Sicile***, Trad. par : Ferdinand Hoefer, Tome: III, éd. Adolphe Delahays, Paris, 1851, P. 2. .

(٣٥) **استرابون**: أو سترابو، ولد في أماسيا على سواحل بحر مرمرة، حوالي ٦٣ ق.م، وكان من أصول إغريقية، ولذلك يعتبره بعض المؤرخين إغريقيًا، واصل تعليمه بروما حوالي ٤٤ ق.م، وكان على دراية كبيرة بتاريخ روما. لمزيد من المعلومات أنظر: علي فهمي أخشيم، **نصوص ليبية**، منشورات تامغناست، طرابلس، ص ٥٨.

(36) Strabon, ***Géographie de Strabon***, Tome: I , - La Libye -, trad. par: Amédée Tardieu, Librairie Hachette , Paris , 1881 , P . 1 .

(٣٧) **ستاد واحد**: هي وحدة قياس إغريقية، ويقدر ستاد واحد بحوالي: ١٧٧.٦ متر. لمزيد من المعلومات أنظر:

Hérodote , Op. cit. , P. 263.

(38) Strabon, Op . – Cit. , P. 1.

(39) Strabon , Op . – cit . , P .2.

(40) **بلينوس الأكبر**: يعرف كذلك ببلينوس الكبير أو القديم تمييزًا له عن ابن اخيه بلينوس الصغير أو الشاب ، ولد في غاليا حوالي ٢٣ للميلاد ، كان ضابطًا من طبقة الفرسان بأفريقيا، شغل مناصب في عهد الإمبراطور فسباسيان، مات مختنقا بفيزوف سنة ٧٩ للميلاد أثناء رصده ظاهرة انفجار البركان الشهيرة. لمزيد من المعلومات أنظر: علي فهمي أخشيم، المرجع السابق، ص ٧٦.

(41) Pline l ' ancien, ***Histoire Naturelle***, Tome: V, - L' Afrique du Nord -, trad. par: jehan Desanges , Les belles lettres, Paris, 1980, P. 77.

(42) Ibid, P. 64.

(٤٣) **سالوستيوس**: من أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية، وهو غايوس كريسبوس سالوستيوس، ولد حوالي ٨٦ ق.م، كان مقربًا لقيصر، شغل منصب بريتور سنة ٤٨ ق.م، كتب مؤامرة كاتيلينا حوالي ٤٢ق.م، والحرب اليوغرطية سنة ٣٨ق.م، ثم التواريخ، مات سنة ٣٥ ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: العربي عقون، المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة، ط. ١، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠٠٦، ص (٢٤ – ٢٨).

(٤٤) سالوستيوس، **حرب يوغرطة**، ترجمة: محمد الهادي حارش، ط. ١، منشورات دحلب، ١٩٩١، ص ٣٢. لمزيد من المعلومات انظر:

Salluste, Œuvres complètes (***Guerre de Jugurtha, Conjuration de Catilina, Histoire Romaine***), trad. Par: Charles du Rozier et Yves Germain, éd. Paléo, Paris, 2003, P. 22 .

Salluste, Op. – Cit. , P. 22.

(45) Le Général Faidherbe, ***Collection complète des Inscriptions Numidiques*** (Libyques), Librairie A. Franch, Paris, 1870, P.6.

(46) Jinnette Aumassip, Op . – Cit , P. 16. St. Gsell, H.A.A.N., T . I , P. 101.

(47) E.Litman, **"L'Origine de l'Alphabet Libyque"**, J. Asia. , P. 120.

(48) Salem Chaker et Slimane Hachi, "**A propos de l'origine de l'àge de l'écriture libyco-berbère**", éd. PEETER, Paris, 2000, P.104.

(49) اهتم اللغوي سالم شاكر بهذه العلاقة اهتمامًا كبيرًا في دراساته القيمة الآتية في مجلة ليبيكا:

Salem Chaker , "***Quelques considérations générales sur la langue des Touaregs***", Libyca, T: XXV, 1977, P.P. (205 - 217). Et: Salem Chaker, "**La situation linguistique dans le Maghreb Antique**", Libyca, T: (XXVIII , XIX), (1980 - 1981). P.P. (185-139).

(50) Phillipe Berger, ***Histoire de l'écriture dans l'Antiquité***, 2ème éd., Imprimerie Nationale, Paris, 1892, P.P. (324 -325).

(51) Otto Meltzer, ***Geschichte Der Karthager*** , Zweiter Band , Weidmnnsche Buchhandlung , Berlin , 1896 , P. 122.

(52) James Février, ***Histoire de l'écriture***, éd. Payot, Paris, 1959, P. 325.

(53) في مسألة نشوء الكتابة و تطورها من المشافهة التي تعد وسيلة قوية واداة مفعمة بالقوة التعبيرية والقيم الفنية، لمزيد من المعلومات أنظر: والتر أونج، **الشفاهية والكتابية**، ترجمة: حسن البنا عز الدين، ط.١، ع: ١٨٢، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤، ص ٥٢. مصطفى ناصف، **اللغة والتفسير والتواصل**، ط.١، ع: ١٩٣، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥، ص. (٩- ٢٣).

(٥٤) هي لغة أهل أثينا وكانت لغة الكتابة في القرنين الخامس والرابع ق.م التي ألفت فيها روائع الأدب والفلسفة ، واللغة اليونانية هي إحدى الفروع

دورية إلكترونية . محكمة . ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهامة في الأسرة المتعددة اللغات المعروفة بالهندو أوروبية والتي تضم اللغة اللاتينية وما اشتق منها من لغات أوروبا الغربية كالإيطالية . **لمزيد من المعلومات أنظر** : مفيد رائف العابد ، المدخل إلى اللغة اليونانية ، ط . ١ ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ص. ص. (٣ – ٧) .

(٥٥) بمعنى أن الإغريقية والبونية هما لغتان متطورتان وكتابتان لكل منهما منظومتها النحوية والصرفية الخاصة بها ، ونود الإشارة هنا إلى أنه رغم تهلين النوميديين في المدن أسوة بأسرة مسنسن إلا أنهم لم يكتبوا خلال هذه الفترة باليونانية ، وعلى افتراض أنهم كتبوا فالثابت أثريا أنه لم يصلنا شيء منها ، والوحيد الذي كتب كان يوبا الثاني (٥٠ – ٢٣ ق.م) بعد الاحتلال الروماني وكردة فعل على الثقافة اللاتينية ، كما أن الكتابة اليونانية في المغرب القديم قد أكب علماء اللغة على دراستها فيلولوجيا وخاصة الباحثين من جامعة قاريونس ببنغازي ، وكذا الأمر بالنسبة للبونية التي اهتم بدراستها أعضاء هيئة التدريس بجامعة منوبة .

(56) *J.Février , **Histoire de l'écriture** , éd. Payot , Paris , 1959 , P . 321.*

(٥٧) **القس فولجانسيوس**: هو فابيوس كلاوديوس جورديانوس ، يعد من آباء الكنيسة الكاثوليكية في المغرب القديم خلال القرن الخامس للميلاد ، ولد سنة ٤٥٨ م في لبتيس (فريانة بتونس) من عائلة أرستوقراطية، درس اليونانية واللاتينية، عيد ملاحظا لجباية الضرائب في إقليم المزاق، زار خلال ذلك الأديرة التي أسسها القديس أوغسطينوس ووقف عن كثب حول الممارسات الدوناتية والثورة الاجتماعية المعروفة بالدوارين، وعاش مع النوميديين وكتب عن عاداتهم وديانتهم، ثم تفرغ للعبادة إذ كان مرهف الحس، أصبح أسقف روسبي، وترك مؤلفات كثيرة منها كتاب حول تجسيد المسيح والرد على شبهات الدوناتية، وكان انتاجه غزير وعلى نهج أوغسطينوس. **لمزيد من المعلومات انظر:**

-Louis-Antoine Augustin Pavy, ***Les Saints de l'Algérie , Imp. Marc Aurel éditeurs***, Valence, 1857 , P.P. (43 - 48).

(58) St . Gsell , H.A.A.N., T . VI , P. P. 94 – 95 .

(59)G. Camps , Op. – Cit , P.- P. (270 - 271) .

(60) M. Reboud , ***Recueil des inscriptions Libyco*** – Berbères, imp. Adrian Leclaire, Paris, 1870, P. 7 .

دورية إلكترونية . مُحكّمة . ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449